



لهذا انضوت عُمان إلى تحالف السعودية ضد الإرهاب؟

2017-01-07 الساعة 22:30 | ترجمة وتحرير شادي خليفة - الخليج الجديد

لم يكن العام الماضي عامًا طيبًا تمامًا للمملكة العربية السعودية. مصاعب مالية وسط أسعار رخيصة للنفط، وهجمات لتنظيم الدولة داخل الأراضي السعودية، ومستنقع مكلف في اليمن، ونكسات في سوريا، كل ذلك أضعف من وضع المملكة في المنطقة. ورغم هذه التحديات، تمكنت السعودية من إنشاء شبكة من الدول السنية داخل إطار التحالف العسكري الإسلامي لمحاربة الإرهاب. وعلى الرغم من أن الغرض المعلن من التحالف الذي تدعوه الولايات المتحدة هو سحق «الدولة الإسلامية» والقاعدة والجماعات المتطرفة، إلا أن الغياب الملحوظ لإيران والعراق عن التحالف، يتماشى مع موقف الرياض العدائي ضد إيران.

وفي الشهر الماضي، أحرزت المملكة نصرًا جديدًا بضم عضو جديد للتحالف، وهي عمان. وبالنسبة للسلطنة، التي نأت بنفسها طويلًا عن جهود الرياض لعزل طهران، فإن انضمامها للتحالف يثير تساؤلات مهمة حول أجندة السياسة الخارجية لهسقط مع تفاقم حجر التوترات بين دول الخليج وإيران. سارعت السعودية في تحية عمان على قرارها بأن تصبح العضو رقم 41 في تحالفها، في إشارة إلى قوة مجلس التعاون الخليجي وإلى «فصل جديد من الوحدة الإقليمية والإسلامية».

السلطنة والمملكة

وكجار وعضو في مجلس التعاون الخليجي، حافظت عمان والسعودية على تحالف وثيق منذ وقت طويل، لكن علاقات مسقط الوثيقة بطهران قد خلقت تصدعات في العلاقات العمانية السعودية. وباستضافة مسقط لمحدثات سرية بين المسؤولين الأمريكيين والإيرانيين، والتي قادت إلى إتهام الاتفاق النووي الإيراني التاريخي في عام 2015، فقد أثار المسؤولون العمانيون استياء نظرائهم في السعودية. وفي النونة الأخيرة، أنهى مسؤولون سعوديون عمان، التي حافظت حتى الآن على الحياد بالنسبة لحرب اليمن، بالسهاج بتهريب الأسلحة عبر الحدود العمانية اليمنية إلى أيدي مقاتلي الحوثيين، وهو الادعاء الذي أنكره المسؤولون في مسقط.

وخلال جولته الأخيرة في دول مجلس التعاون الخليجي، لوحظ استبعاد الهلك «سلمان بن عبد العزيز» لعمان من الرحلة، الأمر الذي أشار إلى استياء الرياض من العلاقات الوثيقة بين عمان

وطهران، حتّى وإن لم يصرّح المسؤولون السعوديون أبداً عن استيائهم من السلطنة. ووفقاً لمسؤول بارز سابق بهيئة التعاون الخليجي، يرى البعض داخل المجلس حياذ عهان بأنّه «حياذ سلبى»، حيث تسعى السعودية وباقى دول المجلس لإنشاء خليج عربى وتحد ضد إيران وحلفائها فى المنطقة من لبنان إلى اليمن.

لم يتفاجأ المراقبون من سياسة عهان الخارجية عندها تجنّبت الانضمام إلى التحالف الإسلامى العسكرى فى بداياته فى ديسمبر/ كانون الأول عام 2015. فلم تنظر مسقط أبداً لإيران كمصدر للتهديد وكثيراً ما رفضت أتباع خطى الرياض بشأن المسائل التى تتعلّق بإيران.

الحياذ الإقليمى

علاوة على ذلك، فى السنوات الأخيرة، دفعت مجموعة كبيرة من العواهل عهان للاستثمار فى علاقتها بإيران، وأهمّها خطط مسقط وطهران للاستكهاال ومشروع خط أنابيب الغاز الطبيعى تحت سطح البحر، الأمر الذى يجعل عهان الدولة الأولى فى مجلس التعاون الخليجى التى تطور بنية تحتية تربط بشكل مباشر بين شبه الجزيرة العربية وإيران. وعلاوة على ذلك، من الأسباب الرئيسية لتحوّل عهان نحو توثيق علاقتها بإيران، هو تفكير مسقط الاستراتيجى بأن عمق علاقاتها مع طهران يعطىها استقلالاً أكبر عن السعودية كقوة مهيمنة على مجلس التعاون الخليجى، والتى يراها العهانيون غالباً جأراً طاغياً. ولا نفتقد فى المعادلة حقيقة حول العديد من رجال الدين السعوديين وجهات نظر متعصّبة ضد المسلمين الإباضية. وبطبيعة الحال، هذا لا يعجب العهانيين، الذين يعتنق غالبيتهم مذهب الإباضية، وهو مذهب مسالم ومتسامح من الإسلام. وكان الحفاظ على الاستقلال عن السلطة الجيوسياسية والدينية للمهلكة دائماً ركيزة أساسية فى سياسة عهان الخارجية.

ومن السابق لنوانه القول بأنّ عهان قد تخلّت عن حياذها الإقليمى بانضمامها للتحالف الإسلامى العسكرى لصالح تحالف أوثق مع الرياض وأبوظبي. وعلى النرجح، تؤكّد عهان على التزامها بالعمل مع دول الخليج العربى فى السعى لدرء التهديدات العابرة للحدود من الجهات الجهادية السلفية المتطرفة والعنيفة مثل القاعدة فى شبه الجزيرة العربية و الدولة الإسلامية فى اليمن، وهو ما لا يعطى أى مؤشر على أنّ مسقط تخطّط لتغيير جذرى فى سياستها الخارجية أو تراجع علاقتها بطهران.

وفى الحقيقة، فى فبراير/ شباط وهارس/أذار الأخيرين، بعد شهرين من إعلان ولي ولي العهد السعودى وزير الدفاع النهمير «محمد بن سلمان» إطلاق التحالف العسكرى الإسلامى لهاربة الإرهاب، بدأت 19 دولة من دول التحالف مناورات تدريبية مشتركة فى السعودية سهيت بـ «رعد الشمال». وبالرغم من أنّ عهان لم تكن عضواً فى التحالف ذلك الوقت، إلا أنها شاركت فى التدريبات التاريخية بين 20 دولة عربية ومسلمة. وأكّدت مسقط بمشاركتها رغبتها فى العمل مع قوآت التحالف من خلال تبادل المعلومات الاستخباراتية وتعزيز مبادرات مكافحة الإرهاب فى شبه الجزيرة العربية حتّى وإن كان العهانيون حذرين بشأن الانضمام رسمياً إلى التحالف. ببساطة، أرادت مسقط معرفة المزيد عن الغرض من التحالف الذى تقوده الرياض والتعرّف على الأساليب قبل الدخول إليه.

وليس من الواضح أن انضمام السلطنة للتحالف سيسبب أي معاناة للتعاون العماني الإيراني. فلدى إيران العديد من المصالح في الحفاظ على علاقتها الناضجة وتعددة النوجه مع مسقط. ومن غير المرجح أن يبتعد الإيرانيون عن عمان بسبب هذا القرار. وعلى الأرجح أقدمت عمان على هذه الخطوة وأصبحت العضو رقم 41 في التحالف بعد أن تأكدت أن الخطوة لن تأتي على حساب العلاقة بينها وبين طهران. وعلى افتراض استمرار التدريبات العسكرية المشتركة بين مسقط وطهران في مضيق هرمز، ستكون السلطنة هي الدولة العربية الوحيدة التي تشارك في تدريبات عسكرية مشتركة مع كل من السعودية وإيران، الأمر الذي يلقي الضوء على الدور الفريد لمسقط في النظام الجيوسياسي في الشرق الأوسط.

تحول في السياسة الخارجية؟

من الصعب تحديد التبعات الاستراتيجية طويلة المدى من دخول مسقط إلى التحالف. فقد استندت السياسة الخارجية لعمان طويلاً على مبادئ الحياد وعدم التدخل. وببقائها خارج الحرب الأهلية في اليمن، وعدم انضمامها للتحالف العسكري بقيادة الولايات المتحدة ضد الدولة الإسلامية في الشام، والامتناع عن التدخل في الثورة عام 2011 في ليبيا ضد نظامها السابق، تجنّب العمانيون نشر قواتهم خارج محيط دول مجلس التعاون الخليجي على عكس ما فعلته باقي دول المجلس في السنوات الأخيرة. وبالنظر إلى أن التحالف العسكري الإسلامي مبني أساساً على عهود المسلمين السنة الذين يعملون معاً لمحاربة الإرهابيين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فإن مشاركة عمان النشطة في مثل هذه الانتشارات، إذا حدثت، ستكون علامة على تغيير كبير في السياسة الخارجية لمسقط. ومع ذلك حتى الآن، لا يوجد دليل على وجد أي خطط لدى العمانيين للشروع في مثل هذا التحول.

وفي حين تتفاقم التوترات بين السعودية وإيران، ستزداد صعوبة قدرة مسقط على الحفاظ على التوازن في علاقتها مع البلدين. ومع ذلك، بالنسبة للسلطنة، فإن تعزيز مكانها كمنصة محايدة لإجراء المحادثات من أجل حل النزاعات الأمنية الإقليمية والعالمية كان دائماً أولوية قصوى. وعلى الرغم من اعتبار المسؤولين في الرياض وطهران أن منافسة بينهم معادلةً صفرية، لا ترى عمان ذلك.

ترى مسقط أن مصالحها ستتتحقق على الوجه النكول بتوثيق علاقاتها بدول مجلس التعاون الخليجي الخمسة وكذلك بإيران. ومن المرجح، بحسب ما يقال، أن العام الجديد سيشهد ضغطاً أكبر من السعودية على عمان من أجل تحالف أوثق على حساب طهران، الأمر الذي يمثّل تحدياً هاماً ومحاولات مسقط من أجل الحفاظ على دورها الفريد في المنطقة كحليف لكلا البلدين، السعودية وإيران. وفي الواقع، لم يذكر أحد أنه من السهولة بكان أتباع سياسة خارجية سويسرية داخل الشرق الأوسط، لكن عمان حتى الآن قد قاومت بعزم مهتاز في هذا الجانب.